



اعتز بخمسنا قبل خمسنا



الشيخ و جده العلامة ابن سنان الطحاوي



اغتفر خمسنا
قبل خمسنا

اغتفر خمسيناً
قبل خمسيناً

الشيخ

و جبر الريحون بن سلمان الطحاوي

مكتبة بينونة للعلوم الشرعية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حقوق الطبع و محفوظة

للمزيد من الكتب



بسم الله الرحمن الرحيم



@BaynoonanetUAE



@Baynoonanet



www.baynoona.net

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد،

فمن نعم الله عَزَّ وَجَلَّ على المسلم أن يُوفق لحفظ وقته وحسن استغلاله فيما ينفعه، قبل أن يُحرم منه ويعرض له ما يشغله، ويضيع عليه زمانه، ولنا في رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسوة حسنة في حفظ الوقت، ففي السنة مواعظ جمّة لمن أراد أن يتعظ، وأضع بين يدي القارئ الكريم وقفة مع حديث عظيم من أحاديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو موعظة بليغة منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما صرح بذلك راوي الحديث في مقدمة الحديث.

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لرجل وهو يعظه: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ».

والحديث صحيح ثابت، أخرجه الحاكم، والبيهقي في (شعب الإيمان) وغيرهما.

وقد اشتمل الحديث على موعظة عظيمة وبليغة لمن وفقه الله تعالى لحسن تأملها وفهم مضامينها، صدرها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «اعْتَمِرْ حَمْسًا قَبْلَ حَمْسٍ»، أي اغتتم خمسة أشياء قبل حصول خمسة أشياء، وقد سماها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غنائم لتُغْتَم، والاعتنام انتهاز الفرصة والمبادرة إلى الشيء قبل فوات أوانه، وقبل حصول الحرمان منه.

« شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ »

ومن أكرمه الله بقوة الشباب والفتوة فلا يجوز له أن يضيعها في اللهو والغفلة واللعب بل يجب عليه أن يبذل شبابه وقوته في ما ينفعه يوم القدوم على الله عز وجل في حياته البرزخية وحياته الأخروية؛ فتلك دار الجزاء وهذه التي نعيش فيها دار الامتحان، دار العمل والشقاء، وقد أمرنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نغتنم خمسًا قبل خمس وجعل في مطلعها اغتنام فترة الشباب لمنزلته بينها، فالشباب له أهميته وله وزنه عند من قام بحقه واستثمره استثمار العقلاء الذين يؤمنون بأنهم سينقلبون إلى

الله وليس لهم زاد إلا تقوى الله تبارك وتعالى وصالحُ العمل الذي يقرب العبد إلى الله زُلْفًا: ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعِيفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴾، فما أحسن وقت الشباب إذا استثمره صاحبه في ما ينفعه، وأعظم ما ينفع العبد ما كان متعلقًا بأمور دينه وينفعه في دنياه، لأن الإنسان بطبيعته وخلقته محتاج إلى غيره ولا بد له من حاجات ضرورية في دنياه تعينه على تحقيق الغاية العظمى وهي رضا الله: ﴿ وَجَنَّةٍ أَعْرَضَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾، فالدنيا كلها وسيلة إلى تحقيق عبودية الله تعالى التي ما خلقتنا إلا لأجل تحقيقها، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾.

وثبت عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث السبعة الذين يظلمهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله، قال: « وشابُّ نشأ في عبادة الله » استعان بالله على نفسه الأمانة بالسوء، وهواه، وشيطانه، فأرضاربه وأسعد نفسه بصالح العمل، وأما اللهو والغفلة فهذه من صفات السفهاء الذين ما عقلوا الحكمة التي خلقهم الله

عَزَّوَجَلَّ لتحقيقها، ألا وهي عبادته بكل ما تحمل كلمة العبادة من معنى، والعبادة كما تعلمون اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، الموزونة بميزان شرع الله الكريم، من فرائض مفروضة وواجبات ومستحبات، وترك المحرمات والمكروهات، كلها عبادات يتقرب بها المكلفون إلى خالقهم وبارئهم، رجاء رحمته وخشية عقوبته.

« **وَصِدَّتْكَ قَبْلَ سَقَمِكَ** »

الصحة من الغنائم العظيمة ومن الوسائل التي تعين الإنسان على القيام بما أوجب الله تبارك وتعالى عليه على وجه التمام، فعندما يكون العبد صحيحًا في جسمه صحيحًا في جوارحه صحيحًا في عقله؛ فإنه بذلك إذا قام إلى الأعمال التي تنفعه في دينه ودنياه أحسنها وأتقنها، وليس كمن كان سقيمًا؛ فإن السقم إذا جاء حصل النقص الكثير للإنسان في أمور دينه ودنياه، وأمر النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** باغتنام حال الصحة قبل أن يهجم السقم فتعجز عن مفروض وواجب ومستحب ويحصل النقص الكثير، وما الحياة إلى أيام وساعات يعيشها الإنسان، فإذا كان

في حال صحته استطاع أن يقدم رصيِّداً من الأعمال الصالحة يقدم عليه يوم القيامة ويجزى به الحسنه بعشر أمثالها وأكثر من ذلك بحسب ما يقوم بقلبه من إيمان.

« وَغِنَاكَ قَبْلَ فَمَّرِكَ »

واغتنم غناك قبل فمرك، إذا آتاك الله شيئاً من المال فلا تنس حق الله في المال، من الزكاة بشروطها، ومن الصدقة التي تكون أنت في ظلها يوم القيامة، فكل إنسان في ظل صدقته، ولو أن تتصدق بالقليل من المال فالله عز وجل يريه كما جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري ومسلم، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « مَنْ تَصَدَّقَ بَعْدَلَ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبِ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّهَا لِصَاحِبِهَا، كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فُلُوهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ »، فلو انفقت الشيء اليسير القليل فهو عند الله كثير، فاغتنم غناك قبل أن تكون فقيراً لا تجد ما تعود به على نفع نفسك أو نفع غيرك، فالغنى والفقير بيد الله تبارك وتعالى.

« وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ »

واغتنم فراغك قبل شغلك ما دمت على قيد الحياة، فعندك فراغ، فلا يذهب سدىً، ولهواً وغفلةً، وجرياً وراء الدنيا، والتوسع في مباحاتها مع تضييع فرائض الله وما أوجب عليك وما راقبك فيه، فإن فعلت ذلك واغتنمت الفراغ قبل أن تُشغل؛ فقد كسبت خيراً عظيماً يعود نفعه عليك، وهو الغاية من الحياة بأن تستغل الفراغ في ما ينفعك في دينك ودنياك، فالإنسان في دنياه في أمس الحاجة إلى أشياء لا بد من تحقيقها، من المأكل والمشرب والمسكن ونحو ذلك، فهو يستفيد من فراغه ليسدد هذه الأمور التي هي من الوسائل، ويعتني أهم الاعتناء بأموره الدينية، من إقامة فرائضه، وعلى رأسها طلب العلم حتى يكون فقيهاً في دينه.

« وَحَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ » :

واغتتم حياتك قبل موتك، فالحياة هي ميدان العمل، ولا حياة طيبة مباركة إلا بصالح العمل، ومجانبة سيء العمل، فأنت يا ابن آدم لك شأن عظيم، أولاً: أن الله ذكّرنا لنكون له من الشاكرين، ذكّرنا بمبدأ خلقتنا، كيف وُجدنا في هذه الحياة، فالإنسان كان نطفةً في صُلب أبيه، فتحوّلت النطفة إلى أطوار في بطن أمه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ﴾ أي: جنس الأدميين ﴿نُطْفَةً﴾ تخرج من بين الصلب والترائب، فتستقر ﴿فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ وهو الرحم، محفوظة من الفساد والريح وغير ذلك.

﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ﴾ التي قد استقرت قبل ﴿عَلَقَةً﴾ أي: دما أحمر، بعد مضي أربعين يوماً من النطفة، ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ﴾ بعد أربعين يوماً ﴿مُضْغَةً﴾ أي: قطعة لحم صغيرة، بقدر ما يمضغ من صغرها.

﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ﴾ اللينة ﴿عِظْمًا﴾ صلبة، قد تخللت اللحم، بحسب حاجة البدن إليها، ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا﴾ أي: جعلنا اللحم، كسوة للعظام، كما جعلنا العظام، عمادًا للحم، وذلك في الأربعين الثالثة، ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ نفخ فيه الروح، فانتقل من كونه جمادًا، إلى أن صار حيوانًا، ﴿فَتَبَارَكُ اللَّهُ﴾ أي: تعالي وتعاظم وكثر خيره ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾، ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِيٍّ وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ فخلقه كله حسن، والإنسان من أحسن مخلوقاته، بل هو أحسنها على الإطلاق، كما قال تعالي: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ولهذا كان خواصه أفضل المخلوقات وأكملها.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الخلق، ونفخ الروح ﴿لَمَيِّتُونَ﴾ في أحد أطواركم وتنقلاتكم ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَبْعَثُونَ﴾ فتجازون بأعمالكم، حسنها وسيئها. قال تعالي: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ

﴿ أَنْ يَتْرَكَ سُدَى ﴾ .

هذا مبدأ المخلوق فإذا برز إلى حيث الوجود في هذه الدنيا دنيا العمل وكلفه الله عز وجل بالأعمال، بالأوامر والنواهي والحلال والحرام، وأمره بطاعته وطاعة رسوله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**، فسعيه في هذه الدنيا هو الحياة التي أمر النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** أن يفتنهما، « حياتك قبل موتك »، فما حصله وهو على قيد الحياة فهو الذي ينفعه إذا قدم إلى الدار الثانية دار البرزخ وإلى الدار الآخرة التي هي دار الجزاء على الأعمال، فانظر إلى هذه المراحل التي ذكرنا الله عز وجل بها لخلق هذا الإنسان ليكون لله من الشاكرين، كان نطفة موزعة في صُلب الأب وترائب الأم، ثم بعد ذلك في قرار مكين، ما شاء الله أن يلبث، ثم يُبرزه الله إلى هذه الدنيا وقد كتب له فيها ما كتب، وأمره ونهاه، فهي رأس المال، إن أحسن التصرف فيها قدم على خير، وإن أساء التصرف فقد ظلم نفسه **﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾**، فالواجب على المسلمين أجمعين أن يستثمروا الحياة قبل الممات، فإذا جاء الممات طويت صحيفة العمل على ما فيها، ووضعت في عنقه

كما أخبرنا الله تبارك وتعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۗ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ۝١٣﴾ أقرأ كُنْبَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿ تتطير الصحف في الأيدي، فأخذ الكتاب بيمينه إلى الجنة وأخذ كتابه وراء ظهره أو بشماله إلى النار وبئس القرار، فالعقلاء من الناس الذين آتاهم الله عقولا صحيحة وقلوبا سليمة يستثمرون هذه الحياة التي هي رأس المال.

هذه الأمور الخمسة التي وعظنا بها النبي ﷺ هي غنائم، وجب علينا اغتنامها، ومن أعظم الأمور الحارمة من الاغتنام: التسويف والتأجيل، فكم أعاقت (سوف) عن فضائل وأعمال خيرة، بل فوتت واجبات ومسؤوليات. والعاقل لا يسوّف ولا يفتح المجال على نفسه للتأجيل والتسويف، بل يبادر ويسارع لاغتنام الخيرات، وانتهاز فرصة سنوحها له، وتبؤ القيام بها، أما لو فاتت فلن ينفع الندم، فهذه وصية النبي ﷺ وموعظة لنا معاشر المسلمين أن نغتني هذه الأمور الخمسة قبل فواتها.

نسأل الله عز وجل أن يجعلنا ممن اغتني شبابته قبل هرمه،

وَصِحَّتْهُ قَبْلَ سَقَمِهِ، وَغِنَاهُ قَبْلَ فَقْرِهِ، وَفَرَّاغَهُ قَبْلَ شُغْلِهِ، وَحَيَاتَهُ
قَبْلَ مَوْتِهِ.

وصلّى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين.

حقوق الطبع محفوظة



شبكة بينونة للعلوم الشرعية